



أهمية القدوة وأثرها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد..

فإن من أهداف رسالة الإسلام تربية الإنسان المسلم الصالح الذي يحقق الغاية التي خلقه الله من أجلها وهي عبادة الله وحده؛ تصديقا لقول الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] وتعتبر القدوة من أهم وسائل التربية، ونعني بالقدوة: اتباع الغير وتقليده في أقواله وأفعاله ومواقفه. ومن هنا تبدو أهمية القدوة الصالحة لأنه إذا انحرفت القدوة انحرف المجتمع كذلك؛ لأن الأخلاقيات والسلوكيات الحسنة والسيئة تنتقل في المجتمع في كثير من الأحيان عن طريق التقليد وخاصة بين الأطفال والشباب.

ولأهمية القدوة وتأثيرها في التربية اهتم القرآن الكريم بإبراز النماذج الصالحة من البشر وخاصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم أمر النبي محمدا -صلى الله عليه وسلم- أن يقتدي بهم {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ} [الأنعام: 90]

ثم بين القرآن أن النبي الخاتم محمدا -صلى الله عليه وسلم- هو القدوة الحسنة للبشرية كلها؛ فقد أرسله الله رحمة لكل العالمين {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] وأخلاقه وسلوكياته تمثل النموذج الإنساني الأكمل فهو صاحب الخلق العظيم {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4] ولذلك فإن معرفة وفهم أخلاق النبي محمد وسلوكياته من خلال سنته وسيرته وتطبيقها تمثل طريقا ناجحا ومباشرا في إصلاح الإنسان وتربيته تربية صحيحة {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]

والاقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم يعني معرفة طريقته في عبادة الله كيف كان يؤدي



العبادات كلها من صلاة وزكاة وصيام وحج؟ كيف كان يعامل أهله والناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين، فإن معرفة هذه الأمور يتوقف عليها نجاة العبد في الآخرة. قال صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى). رواه البخاري.

وقد ذكر القرآن نماذج للقدوة غير الأنبياء ومن هذه النماذج التي تستحق التأمل والفهم والاعتداء أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنهم نتيجة تربية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وكان من أهم ما يميزهم صدقهم مع الله سبحانه وتعالى ومع رسول الله عليه الصلاة والسلام ومع الناس أجمعين {مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] وقد سبقت أعمالهم الصالحة كلامهم فكانت دعوتهم لدين الإسلام بالعمل والتضحية والسلوكيات المستقيمة قبل الكلام. ولهذا أمرنا الله كذلك بأن نسير على خطاهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]

إن الإصلاح والتأثير لا يكون فقط بمجرد التوجيه والكلام فالمربون سواء كانوا آباء أو أمهات أو معلمين إذا خالفت أقوالهم أفعالهم فأمروا بالحسن وأتوا بالقبيح كان هذا سببا من أسباب عدم الثقة فيهم وعدم التأثر بما يدعون إليه؛ لأن مخالفة القول للفعل من الأمور التي يبغضها الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ} [الصف: 2 و3] وعلى ذلك فكثير من الأمور التي نأمر بها أطفالنا وشبابنا لا بد أن نطبقها على أنفسنا أولا حتى ينشئوا على التعلم بالمشاهدة. كما بين النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يقول: (صلوا كما رأيتموني أصلي). البخاري ومسلم. ولو أن كل أبوين أقاموا الصلاة أمام أبنائهم وحافظوا على تعاليم الإسلام لنشأ الأبناء في بيئة إيمانية صادقة؛ لأن التعليم كان بالعمل قبل القول {اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُونُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 44] ولقد كانت القدوة الصالحة سببا رئيسا في هداية كثير من الناس فالإنسان يحتاج إلى أن يرى مثلا عمليا يثبت له أن هذا الأمر ممكن وقابل للتطبيق وليس مجرد كلام ينتهي أثره بانتهاء الصوت



وينبغي أن تعلم أن القدوة الصالحة هي صدقة جارية ومن أعظم أسباب دخول الجنة فحينما يعمل الإنسان العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله تعالى فيقلده الناس, يكتب الله له مثل ثواب من تبعه في هذا العمل. فقد أخبر الصحابي أبو مسعود الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) رواه أبو داود. ولهذا كان من دعاء الصالحين {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: 74]

كتبه فضيلة الشيخ: محمد أحمد حسين. مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى المركز الإسلامي بمدينة مناوس, الأمازون, البرازيل